

تذكير الإخوان بقواعد الثبات بعد رمضان



تأليف
أبو إسحاق محمود بن أحمد الزويد
عفا الله عنه وعن والديه وأهله وعامله بستره الكريم

هذا الكتاب منشور في

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تذكير الإخوان بقواعد الثَّبات بعد رمضان

تأليف

أبي إسحاق محمود بن أحمد الزويد
غفر الله له ولوالديه وأهله والمسلمين وعامله بستره الكريم





المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُ بِهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسَنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِيهِ اللَّهُ فَلَا مَضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدَ عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، **صلى الله عليه وسلم**.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكَ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أمَّا بعد: فإنَّ أصدق الحديث كلام الله، وأحسن الهدي، هدي محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النار.



وبعد: اعلّموا رحمة الله وإياكم، أنّ الله تعالى فرض الله على عباده صوم رمضان لتحقيق مقاصد جليّة، وغايات سامية عظيمة، ومن أهم المقاصد تحقيق التقوى والرجوع والتوبة إلى الله سبحانه وتعالى. وهذا المطلب أكدّه سبحانه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]

فبيّن الله تعالى أنّ أعظم مقصد من الصوم، هو تحقيق التقوى لله تعالى، وهو المقصود بقوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، والتقوى في أوجز ما قيل فيها: فعل الطاعات، واجتناب المحرمات، لذا كان على الصائم أن يعلم أن من فقه صوم رمضان، هو تحقيقه لفقه النفس وترويضها على الطاعات.

فرمضان مدرسة ربانيّة، وجامعة إسلاميّة، يربي فيها العبد نفسه على أسمى الصفات، وأفضل الخصال الإيمانية.

وهذه المدرسة هي انطلاقة للعبد في جميع فصول السنة، وهذا يتحقق فيمن حقق صوم رمضان إيماناً واحتساباً.

وحتى يكون العبد في عبادته ومعاملاته على غرز السلف، فإنّ من أهم ما ينبغي عليه هو أن يرسخ هذه المعالم القيّمة في نفسه تحقيقاً كما حققه السلف في هذا الباب، فقد كان رمضان لهم مضمار سباق، وسائر الشهور هي استعداد وإحماء، ولم يكونوا بالذين يعبدون الله في وقت دون الآخر،



ولا من يطيعونه في زمان دون زمان، وإنما كان زيادة الطاعة لعظمة المكان، ورفعته، ولخيرة الزمان وعلو شأنه.

وهذا الفقه من خير ما أوتيهِ السَّلف، فلهذا ساقوا من جاء بعدهم، وكلَّ من سار على ما ساروا عليه له الحظ الأسمى، والمكان الأرفع من منزلتهم.

وهذه أربعة قواعد كتبتها في تثبيت المسلم على الطاعة بعد شهر رمضان، وقد كتبتها مذكرة لنفسي وثمة لإخواني، وإني على أمل أن أتمها بما أراه مناسباً وموافقاً لها بعون الله وتوفيقه، والله أسأل أن يتقبلها وينفع بها، ويجعلها خالصةً لوجهه الكريم، إنَّه على كلِّ شيء قدير.

وكتبه: أبو إسحاق محمود بن أحمد الزويد

عفا الله عنه. وأحسن ختامه.



١- طلب القبول والإلحاح على الله بذلك .

إن أداء العبادة لله تعالى أول علامات التوفيق، ومن تمام ذلك التوفيق الحرص على قبول تلك العبادات، واتباعها بالطاعات والعبادات، فمن علامات قبول الطاعة، أن تتبع بطاعة، فإذا رأيت فتوراً في همتك، وانقطاعاً عن عبادة ربك، فاتهم نفسك، واعلم أن قبول الطاعة في الإجمال علم غيبي وله أمارات تدلُّ عليه، ولهذا لما جهل قبول تلك الطاعة، كان الأجدر أن يحرص صاحبها عمّا يكون سبباً في قبولها، وقد كان ابن عمر، وسعيد بن المسيب إذا سأل كل واحد منهما السائل أيتهما صلاتي؟ -أي أيتهما التي يتقبل الله مني- أجابه كل واحد منهما: بأن ذلك ليس اليه علمه وأن ذلك أمر علمه إلى الله"¹

وإنما جعلت طلب قبول الطاعة، من أسباب الثبات؛ لأن من علامات القبول أن يوفق صاحب الطاعة لطاعة أخرى، وصاحب الحسنة لحسنةٍ مثلها أو خيراً منها، فكان الأجدر بالعبد الحريص أن يسأل الله ذلك في دعائه.

وطلب قبول العمل من صفات الأنبياء والمرسلين فهذا نبي الله، وخليله إبراهيم، وابنه إسماعيل الذبيح -عليهما السلام-، يدعون الله بطلب قبول

¹ - انظر: التمهيد، "(٢٥٦/٤)"



ما قاموا به، كما قال سبحانه وتعالى عنهما: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]

كما أنه من علامات عباد الله المؤمنين، وقد كان الصالحين من هذه الأمة، وفي مقدمتهم السلف الصالح رضوان الله عليهم، يحرصون عليه أشد الحرص، فعن هشام بن يحيى الغساني عن أبيه، قال: «جاء سائل الى ابن عمر فقال لابنه: أعطه ديناراً، فقال له ابنه: تقبل الله منك يا أبتاه.

فقال: لو علمت أن الله تقبل مني سجدة واحدة أو صدقة درهم واحد لم يكن غائب أحب إلى من الموت أتدري ممن يتقبل الله ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾»^١

ودليل حرص السلف على هذا أن تنظر إلى حالهم بعد رمضان وهم يهئون بعضهم البعض بطلب قبول الله تلك العبادات التي فعلوها في رمضان، فعن جبير بن نفير قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض تقبل الله منا ومنك»^٢

^١ -انظر: التمهيد، "(٢٥٦/٤)"

^٢ -رواه ابن حجر في "فتح الباري"، "(٤٤٦/٢)"، وقال: "وروي في المحامليات بإسناد حسن" أه وروي مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يصح.



وعن أدهم مولى عمر بن عبد العزيز، قال: «كنا نقول لعمر بن عبد العزيز في العيدين: تقبل الله منا ومنك يا أمير المؤمنين، فيرد علينا ولا ينكر ذلك علينا»^١

وقال الإمام ابن بطة العكبري رحمه الله، «وكذلك دعاء الناس لأنفسهم، ودعاء بعضهم لبعض: اللهم تقبل صومنا، وزكاتنا، وبذلك يلقي الحاج فيقال له: قبل الله حجك، وزكى عملك، وكذا يتلاقى الناس عند انقضاء شهر رمضان، فيقول بعضهم لبعض: قبل الله منا ومنك. بهذا مضت سنة المسلمين، وعليه جرت عاداتهم، وأخذه خلفهم عن سلفهم»^٢

وهكذا كان السلف يدعون الله بالقبول، ويحثون اخوانهم على الدعاء والرجاء في طلب قبول الأعمال الصالحة، وهكذا ينبغي لكل مؤمن حريص أن يفعله، ويذكر اخوانه بذلك.

فهذا علي رضي الله عنه: «كان ينادي في آخر ليلة من شهر رمضان: يا ليت شعري من هذا المقبول فنهيه، ومن هذا المحروم فنعزيه»

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: «من هذا المقبول منا فنهيه، ومن هذا المحروم منا فنعزيه؛ أيها المقبول هنيئاً لك، أيها المردود جبر الله مصيبتك»

ليت شعري من فيه يقبل منا ... فيها يا خيبة المردود

^١ - رواه البيهقي في "شعب الإيمان"، (٣٤٤٦)

^٢ - الإبانة، (٨٧٣/٢)



من تولى عنه بغير قبول ... أرغم الله أنفه بخزي شديد

قال بعض السلف: «كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم شهر رمضان
ثم يدعون الله ستة أشهر أن يتقبله منهم»

وخرج عمر بن عبد العزيز رحمه الله في يوم عيد فطر، فقال في خطبته:
«أيُّها الناس: إنَّكم صمتُمُ الله ثلاثين يوماً، وقمتُمُ ثلاثين ليلة، وخرجتم اليوم
تطلبون من الله أن يتقبل منكم»

وكان بعض السلف يظهر عليه الحزن يوم عيد الفطر فيقال له: إنَّه يوم فرح
وسرور فيقول: «صدقتم ولكني عبد أمرني مولاي أن أعمل له عملاً فلا
أدري أيقبله مني أم لا؟»

وروي عن علي رضي الله عنه قال: «كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً منكم
بالعمل! ألم تسمعوا الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾
[المائدة: ٢٧]

وعن فضالة بن عبيد قال: «لأن أكون أعلم أن الله قد تقبل مني مثقال
حبة من خردل أحب إلي من الدنيا وما فيها لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ
اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]»

قال ابن دينار: «الخوف على العمل أن لا يتقبل أشد من العمل»



وقال عطاء السلمي: «الحذر الالتقاء على العمل أن لا يكون لله»

وقال عبد العزيز بن أبي رواد: «أدركتهم يجتهدون في العمل الصالح فإذا فعلوه وقع عليهم الهم أيقبل منهم أم لا؟»^١

قلت: وهذا مصداق قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ . أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠-٦١]

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره، "أي: يعطون العطاء وهم خائفون ألا يتقبل منهم، لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشروط الإعطاء. وهذا من باب الإشفاق والاحتياط، كما قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا مالك بن مغول، حدثنا عبد الرحمن بن سعيد بن وهب، عن عائشة؛ أنها قالت: يا رسول الله، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾، هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر، وهو يخاف الله عز وجل؟ قال: "لا يا بنت أبي بكر، يا بنت الصديق، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق، وهو يخاف الله عز وجل".

وهكذا رواه الترمذي وابن أبي حاتم، من حديث مالك بن مغول، به بنحوه وقال: "لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون،

^١-انظر: مجموعة هذه الأقوال في كتاب: "لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف" للحافظ ابن رجب الحنبلي، "(ص ٣٧٥-٣٧٦)"، ط: دار ابن كثير.



وهم يخافون ألا يقبل منهم، ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ قال الترمذي: وروي هذا الحديث من حديث عبد الرحمن بن سعيد، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، عن النبي **صلى الله عليه وسلم** نحو هذا. وهكذا قال ابن عباس، ومحمد بن كعب القرظي، والحسن البصري في تفسير هذه الآية.^١

^١ -تفسير ابن كثير، "(٤٨٠/٥-٤٨١)"



٢- الثبات على الطاعات، والحذر من الرجوع إلى المعاصي بعد أن تاب الله عليك .

واعلم أيها المسلم أنّ من توفيق الله لك أنّه أعانك على ترك الذنوب بشهر رمضان، وإن كان لا بدّ من أثر باقٍ في النفس وهذا من تبعات الذنوب، وليت الذنوب إذا تَخَلَّتْ خَلَّتْ، ولكن رحمة الله أوسع وأشمل.

وحتى تكون ثابتاً على التوبة، فاسلك سبيل السلف من التائبين والراجعين إلى الله، طالع في قصصهم، وتأمل في أحوالهم، هل جال ببالك أنّ هناك كتاباً يحمل هذا العنوان، وهو للإمام ابن قدامة رحمه الله، وسمّاه التوابين"، فتلك القصص من خير المثبتات، ومن أعظم المعينات بعد رحمة الله تعالى، وتوفيقه لك.

ومن خير المثبتات، ترك الأصحاب الذين كانوا يعينونك على فعل المعاصي ويسهلونها لك، ولهذا جاء في الحديث الصحيح في قصة الرجل الذي قتل مائة رجل، قال له ذلك العالم، "لا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب...." الحديث.

فأرشده أن من خير ما يعينه على التوبة النصوح، والثبات عليها، هو أن يغير تلك الأرض، وهذا التغيير ينبغي أن يكون من القلب، قبل القالب، وإلا فهو تغيير شكلي، ووقته آني، وفي كتاب "الأربعين الصغرى" للإمام



البيهقي، باباً بعنوان: "هجران إخوان السوء، وهجران إخوان السوء من كمال التوبة"^١

ومن أفضل أنواع المثبات الدعاء، فشأنه عظيم، ووقعه على النفس والحال كبير، والمؤمن الذي يرجى له الاستجابة، هو الذي يدعوا الله بلسان الحال والمقال، متضرعاً إليه، راجياً طامعاً بما عنده من واسع الرحمة، وكثير الخير والبركة.

روى الطبراني، عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم "يا شداد بن أوس! إذا رأيت الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة، فأكثر هؤلاء الكلمات: اللهم! إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرُّشد، وأسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلباً سليماً، ولساناً صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرُك لما تعلم؛ إنك أنت علام الغيوب"^٢

وترك العبد للدعاء تركاً للعبادة، وترك الدعاء سبب من أسباب غضب الله، وإعراض الله عن العبد، لأن الداعي قريب من الله مقبل عليه، والتارك لذي

^١ - (ص ٣٥)، وما بعد، تحقيق الحويني.

^٢ - رواه الطبراني في "المعجم الكبير" (٧١٣٥)، ومن طريقه: أبو نعيم في "الحلية"، (٢٦٥/١)، وكذا ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (١٢٧/١٦) وقال الشيخ الألباني في "الصحيحة"، (٣٢٢٨)، "هذا إسناد جيد، رجاله ثقات"



معرض عنه، منشغل بغيره، وفي مسند أحمد، وسنن ابن ماجه من حديث أبي هريرة **رضي الله عنه** مرفوعاً: "من لم يدع الله يغضب عليه"^١

وأفضل الدعاء الإلحاح على الله

وعن عروة عن عائشة -**رضي الله عنها**- قالت: قال رسول الله -**صلى الله عليه وسلم**: «إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُلْحِينَ فِي الدُّعَاءِ»^٢

قال الأوزاعي رحمه الله تعالى: كان يقال: "أفضل الدعاء الإلحاح عَلَى الله والتضرع إِلَيْهِ".^١

^١ -رواه أحمد في "مسنده"، رقم "(٩٧١٩)" وسنده ضعيف، وابن ماجه في "سننه"، "(٣٨٢٧)" والبعوي في "شرح السنة"، "(١٣٨٩)"

^٢ -رواه الطبراني، من طريق كثير بن عبيد الحذاء الحمصي، عن بقية، عن الأوزاعي، عن الزهري عن عائشة -**رضي الله عنها**-، عن النبي **صلى الله عليه وسلم** -.

وفيه نكارة، استنكره أبو حاتم قال ابن أبي حاتم، بعد أن ساق السند، قال أبي -يعني أبو حاتم- هذا حديث منكر! نرى بقية دلّسه عن ضعيف، عن الأوزاعي، وهو مذكور في علله. اهـ.

ومَن علّله الإمام الدارقطني، ويشهد له ما رواه مسلم وغيره، من حديث ابن مسعود **رضي الله عنه**، قال: "كان النبي **صلى الله عليه وسلم**، إذا دعا دعاً ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً" والمراد من ذكر الثلاثة هنا، التكرار والله أعلم.



ومن خير المثبتات، ثبتنا الله وإيّاك وجعلنا من يتقيه حق تقاته، إنه ولي ذلك ومولاه، استحضار عظمة الله، والاستحياء منه، وعدم الإتيان بالذنب خوفاً منه، ذكر الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله، في رسالته، "كلمة الإخلاص"

قائلاً فيها: "يا قوم، قلوبكم على أصل الطهارة، وإنما أصابها رشاش من نجاسة الذنوب، فرشوا عليها قليلاً من (ماء) العيون، وقد طهرت.

اعزموا على فطام النفوس عن رضاع الهوى، فالحمية رأس الدواء.

متى طالبتكم بمألوفاً، فقولوا لها كما قالت تلك المرأة لذلك الرجل، الذي دمي وجهه: قد أذهب الله الشرك وجاء بالإسلام، والإسلام يقتضي الاستسلام والانقياد للطاعة.

ذَكِّرُوهَا مَدْحَةً ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت: ٣٠]
لعلها تَحِنَّ إِلَى الاستقامة.

١- رسالة الخشوع في الصلاة لابن رجب، "(ص ٤٧)"، ط: مكتبة الحرمين، تحقيق الشيخ محمد عفيفي رحمه الله.

وهي في مجموع رسائل ابن رجب، بعنوان، "الذل والانكسار للعزیز الجبار"، مقابلة على ثلاثة نسخ خطية، ط: دار الفاروق الحديثة، بتحقيق الأخ الشيخ الفاضل أبي مصعب الحلواني حفظه الله وبارك به.



عرفوها اطلاق من هو أقرب إليها من حبل الوريد، لعلها تستحي من قربهِ ونظره: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: ١٤] ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَالْمُرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

-راود رجل امرأة في فلاة ليلا فأبت، فقال لها: ما يرانا إلا الكواكب، قالت: فأين مكوكبها؟!

أكره رجل امرأة على نفسها، وأمرها بغلق الأبواب ففعلت، فقال لها: هل بقي باب لم تغلقه؟ قالت: نعم، الباب الذي بيننا وبين الله! فلم يتعرض لها.

رأى بعض العارفين رجلاً يكلم امرأة، فقال: إِنَّ اللَّهَ يَرَاكُمَا، سترنا الله وإيَّاكما!^١

وقال بشر بن الوليد: سمعت أبا يوسف يقول في مرضه الذي مات فيه: اللهم إِنَّكَ تعلم أنني لم أطأ فرجاً حراماً قط، وأنا أعلم ولم آكل درهماً حراماً قط وأنا أعلم.

وكان الإمام أحمد ينشد:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل: علي رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيب

^١ -وهي ضمن مجموعة من ثلاث رسائل، "(ص ٢٤١)" بعناية الشيخ محمد العمري، وبعضها في رسالته المسمى، "نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس"، "(ص ١٣٧-١٣٨)"، وعبارة أين مكوكبها في روضة المحبين لابن قيم، "(ص ٣٩٥)"



وكان ابن السماك ينشد:

يا مدمن الذنب أما تستحي والله في الخلوة ثانيكما

غرك من ربك إمهاله وستره طول مساويكا^١

وكان سفيان الثوري رحمه الله، يتمثل بهذين البيتين:

تفنى اللذادة ممن ذاق صفوتها من الحرام ويبقى الإثم والعار

تبقى عواقب سوء في مغبتها لا خير في لذة من بعدها النار^٢

ورحم الله القائل:

إذا أوجعتك الذنوب فداوها ... برفع يد بالليل والليل مظلم

ولا تقنطن من رحمة الله إنما ... قنوطك منها من ذنوبك أعظم

فرحمته للمحسنين كرامة ... ورحمته للمذنبين تكرم^٣

وقال اليزيدي دخلت على هارون الرشيد فوجدته مكبا على ورقه ينظر فيها
مكتوبة بالذهب فلما رأيته تبسم فقلت فائدة أصلح الله أمير المؤمنين قال
نعم وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني أمية فاستحسنتهما فأضفت
إليهما ثالثا فقال ثم أنشدني

إذا سد باب عنك من دون حاجة ... فدعه لأخرى يفتح لك بابها

^١ - جامع العلوم والحكم، "(٢٩٨-٢٩٩)"، ط: الدار العالمية.

^٢ - روضة المحبين، "(٤٤٢)"

^٣ - لطائف المعارف، "(ص ٣٨٢)"



فإن قراب البطن يكفيك ملأه ... ويكفيك سوءات الأمور اجتنابها

فلا تك مبذالاً لدينك واجتنب ... ركوب المعاصي يجتنبك عقابها^١

وقد كان للسلف في الحثِّ على الثبات بعد رمضان، أمثلة عظيمة،
ورسائل خالدة مجيدة، ولهذا كان شعار المتقين، كل يوم لا يعصى الله عز و
جل فيه هو عيد، وإثماً إظهار الفرح والسرور في العيد؛ لأنَّه من شعائر
المسلمين، وهو جائزة ربانية للصائمين.

فمن خير الأمثلة: أنَّ حسان بن أبي سنان رحمه الله خرج يوم عيد، فلَمَّا
عاد قالت له امرأته: «كم من امرأة حسناء قد رأيت؟ فقال: والله ما نظرت
إلا في إبهامي منذ خرجت من عندك إلى أن رجعت إليك!»^٢

وروى ابن أبي الدنيا في "الورع"، بسنده، عن وكيع قال: خرجنا مع سفيان
الثوري في يوم عيد فقال: «إنَّ أول ما نبدأ به في يومنا غرض أبصارنا»^٣

وروى هناد ووكيع في "الزهد"، بإسنادٍ صحيح عن إبراهيم قال: «جاء الربيع
بن خثيم إلى علقمة فوجد الباب مغلقاً فدخل المسجد فمر نسوة؛ فغمض
عينيه»^٤

^١ - روضة المحبين لابن القيم، " (ص ٣٩٦) "

^٢ - التبصرة لابن الجوزي، " (١٦٢/١) "

^٣ - الورع، رقم، " (٦٦) "

^٤ - انظر الزهد لهناد، " (١٤٢٠) "، والزهد لوكيع، " (٤٨٤) "



قال النسفي في "تفسيره": ولقد شدد المتقون في وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة، وعُدّد الفسقة، في ملابسهم ومراكبهم، حتى قال الحسن: "لا تنظروا إلى دققة هماليج الفسقة، ولكن انظروا كيف يلوح ذل المعصية من تلك الرقاب"^١

وبهذا تعلم: أنّ ما يحصل من الاختلاط في الأعياد من زيارة الأقارب والأصحاب، من أخطر الأمور، ومن أعظم العقبات على طريق الثبات على التوبة، ومثله زيارة الأماكن المختلطة التي يكثر فيها النساء، وفتنة النساء من أعظم الفتن، وقد كان السلف من أشدّ الناس تورعاً عن قصد تلك الأماكن؛ فضلاً عن اعتزالهم سبل الشيطان التي يزين للبعد الوقوع في الحرام عن طريق النسوان.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «النساء حبائل الشيطان، والشباب شعبة من الجنون»^٢

والحبائل: جمع حباله بالكسر، هو ما يصاد به من أي شيء كان.

^١ - (٣٨٧ / ٢)

^٢ - رواه هناد في "الزهد"، (٤٩٧٣)، والبيهقي في "المدخل إلى السنن"، (٨٥٢ / ٢)، ت: عوامة، ابن حجر في "المطالب العالية"، (٣١٢٥)، ت: العاصمة وإسناده صحيح، والسمرقندي في "تنبيه الغافلين"، (ص ١٠٠)، وقال العراقي في تحريج أحاديث الأحياء، "أخرجه الأصفهاني في الترغيب والترهيب من حديث خالد بن زيد الجهني بإسناد فيه جهالة"، وذكر العجلوني في كشف الخفاء، (٢٨٠٢)، وقال: "رواه في "مسند الفردوس" عن عقبة بن عامر بلفظ "النساء حباله الشيطان"



قال الشيخ زين الدين بن مرعي الكرعي رحمه الله: «وأكثر ما يفسد الملل والدول فتنة النساء»^١

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال: «ألا تروني لا أقوم رفداً ولا أكل إلا ما لَوَّق لي؟ قال يحيى: يعني-لئن وسخن-وقد مات صاحبي منذ زمان، قال يحيى يعني: ذكره، ولا يسرني أني خلوت بامرأة لا تحل لي، وإن لي ما تطلع عليه الشمس مخافة أن يأتي الشيطان فيحركه، إنه لا سمع له ولا بصر»^٢

ومن أمثلة حثهم على الثبات وتذكيرهم بالطاعات، ما رواه البيهقي في "شعب الإيمان"، بسنده، "عن محمد بن يزيد بن خنيس، قال: رأيت وهيب بن الورد صلى ذات يوم العيد، فلما انصرف الناس جعلوا يمرون به فنظر إليهم، ثم زفر، ثم قال: "لئن كان هؤلاء القوم أصبحوا مستيقنين أنه قد تقبل منهم شهرهم هذا، لكان ينبغي لهم أن يصبحوا مشاغل بأداء الشكر، ولئن كانت الأخرى لقد كان ينبغي لهم أن يصبحوا أشغل وأشغل" ^٣

فيا أيُّها الكريم: اهجر تلك المعاصي، أيّاً كانت تلك؛ ولا تنظر إلى صغير المعصية ولكن انظر إلى عظمة من عصيت، وانظر أنّها من المهلكات، وإن

^١ انظر: كتاب شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور، تحقيق جمال صلاح، "(ص ١٥٠)"، ط: الرئاسة العامة..

^٢ -اتباع السنن للضيء المقدسي بعنايتي، "(ص ٣٥)"

^٣ -انظر: شعب الإيمان، "(٣٤٥١)"، ولطائف المعارف، "(ص ٣٧٦)"



كانت من الصغائر، وأنها سبيل يجر إلى ما هو أعظم منها. وقد كان السلف رضوان الله عليهم، يخافون الذنوب ويعظمون خطرها بتركها، ويحذرون منها ومن عواقبها، ففي "مسند أحمد"، من حديث عبد الله بن مسعود، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إيّاكم ومحقرات الذنوب، فإنّهنّ يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه» وإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهنّ مثلاً: كمثّل قوم نزلوا أرض فلاة، فحضر صنيع القوم، فجعل الرجل ينطلق، فيجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا سواداً، فأججوا ناراً، وأنضجوا ما قذفوا فيها»^١

وقال أنس رضي الله عنه: «إنّكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر؛ كنا نعتها على عهد النبي صلى الله عليه وسلم من الموبقات»^٢

وعن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: «إنّكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر؛ كنا نعتها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات»^٣.

١- رواه أحمد في "مسنده"، (٣٨١٨)، والطيالسي في "مسنده"، (٤٠٠)، ومن طريقه أخرجه أبو الشيخ في "الأمثال"، (٣١٩)، والبيهقي في "الشعب"، (٢٨٥)

٢- رواه البخاري، (٦٤٩٢)، وأحمد في "مسنده"، (١٢٦٠٤)، والبيهقي في "الآداب"، (٨٣٨)

ورواه الطيالسي في "مسنده"، (١٤٥٠)، وقال: "له صحة"، والضياء في "المختارة"، من حديث عبادة بن قرط (٤٥٤)، وإسناده صحيح.

٣- رواه أحمد برقم، (١٠٩٩٥)



وعن ابن مسعود **رضي الله عنه** موقوفاً «إِنَّ المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإنَّ الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا " أي بيده فذبه عنه»^١.

وقال أبو أيوب الأنصاري **رضي الله عنه**: «إِنَّ الرجل ليعمل المحقرات حتى يأتي الله وقد أحطن به، وإنَّ الرجل ليعمل السيئة فيفرق منها حتى يأتي الله آمناً»^٢.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله، معلقاً على أثر ابن مسعود **رضي الله عنه** " والحكمة في التمثيل بالجبل أن غيره من المهلكات قد يحصل التسبب إلى النجاة منه، بخلاف الجبل إذا سقط على الشخص لا ينجو منه عادة؛ وحاصله إنَّ المؤمن يغلب عليه الخوف لقوة ما عنده من الإيمان فلا يأمن العقوبة بسببها، وهذا شأن المسلم أنَّه دائم الخوف والمراقبة يستصغر عمله الصالح ويخشى من صغير عمله السيء"^٣.

واعلم أنَّ التوبة النصوح هي عدم الرجوع إلى الذنب والندم عليه، ومن ذاق حلاوة الطاعة، وأُتس بلذة العبادة فإنَّه من الجهل الحقيقي،

^١ -رواه البخاري في "صحيحه"، (٥٩٤٩)، وأحمد في "مسنده"، (٣٦٢٧)، والضي في الدعاء"، (١٣٢)، والبزار كما في "البحر الزخار"، (١٤٧٢)، وأبو يعلى في "مسنده"، (٥١٧٧)، والترمذي في "سننه"، (٢٤٩٧)، ت: بشار، والبيهقي في "الأسماء والصفات"، (٩٤٣).

^٢ -رواه البغوي، في "شرح السنَّة"، (٣٧٤/١٤).

^٣ -انظر: فتح الباري، (١٧٦/٥).



والشقاء أن يعود إلى الذنب بعد أن تاب الله عليه، وأعتق رقبتَه، وغفر له.

قال ابن المبارك رحمه الله: حقيقة التوبة لها ست علامات:

أولها: الندم على ما مضى.

والثانية: العزم على أن لا تعود.

والثالثة: أن تعمد إلى كل فرض ضيعته فتؤديه.

والرابعة: أن تعمد إلى مظالم العباد، فتؤدى إلى كل ذي حق حقه.

والخامسة: أن تعمد إلى البدن الذى ربيته بالسحت والحرام فتذيه بالهموم والأحزان حتى يلصق الجلد بالعظم، ثم تنشئ بينهما لحمًا طيبًا إن هو نشأ.

والسادسة: أن تذيق البدن ألم الطاعة كما أذقته لذة^١

قال كعب رضي الله عنه: "من صام رمضان وهو يحدث نفسه أنه إذا أفطر بعد رمضان أنه لا يعصي الله دخل الجنة بغير مسألة ولا حساب، ومن صام رمضان وهو يحدث نفسه إذا أفطر بعد رمضان عصي ربه فصيامه عليه مردود" وخرجه مسلمة بن شبيب.

ولولا التقى ثم النهى خشية الردى لعاصيت في وقت الصبا كل واجب
قضى ما قضى فيما مضى ثم لا يرى له عودة أخرى لليالي الغائب^١

^١ - شرح صحيح البخاري لابن بطال، "(٨١/١٠)"



وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول: "واعلموا أنَّكم تغدون وتروحون في آجال قد غيب عنكم علمها، فإنَّ استطعتم أن ينقضي الأجل وأنتم في طاعة الله فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، وسابقوا في مهل من آجالكم من قبل أن تنقضي فيكون قد أسلمتم إلى سوء أعمالكم، فإن قوماً جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم فأنْهَكم أن تكونوا أمثالهم؛ فالوحا الوحاً ثمَّ النجاء النجاء فإنَّ من ورائكم طالباً حثيثاً ممره سريع"^٢

دع عنك ما قد فات في زمن الصبا واذكر ذنوبك وبكها يا مذنّب
واخش مناقشة الحساب فإنَّه لا بدَّ يحصى ما جنيت ويكتب
لم ينسه الملكان حين نسيته. بل أثبتاه وأنت لاه تلعب.
والروح فيك وديعة أودعتها ستردها بالرغم منك وتسلب
وغرور دنياك التي تسعى لها دار حقيقتها متاع يذهب
والليل فاعلم والنهار كلاهما أنفاسنا فيها تعد وتحسب.

يا شبان التوبة: لا ترجعوا إلى ارتضاع ثدي الهوى من بعد الفطام، فالرضاع إنّما يصلح للأطفال لا للرجال، ولكن لا بد من الصبر على مرارة الفطام، فإن صبرتم تعوضتم عن لذة الهوى بحلاوة الإيمان في القلوب، من ترك شيئاً

١- لطائف المعارف، " (ص ٣٨٥) "

٢- الخطب والمواعظ لأبي عبيد القاسم بن سلام، " (ص ١٧١) "، وحلية الأولياء لأبي نعيم، " (٣٥/١) "



لله لم يجد فقد عوضه الله خيراً منه: ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾، وفي الحديث: "النظر سهم مسموم من سهام إبليس، من تركه من خوف الله أعطاه إيماناً يجد حلاوته في قلبه" خرجه الإمام أحمد.^١

وهذا الخطاب للشباب، فأما الشيخ إذا عاود المعاصي بعد انقضاء رمضان فهو أقبح وأقبح، لأن الشباب يؤمل معاودة التوبة في آخر عمره، وهو مخاطر، فإن الموت قد يعاجله وقد يطرقه بغتة، وأما الشيخ فقد شارب مركبه على ساحل المنون فماذا يؤمل؟!.

نعى لك ظل الشباب المشيب ... ونادتك باسم سواك الخطوب

فكن مستعداً لداعي الفناء ... فكل الذي هو آت قريب

ألسنا نرى شهوات النفوس ... س تفنى وتبقى علينا الذنوب

يخاف على نفسه من يتوب ... فكيف يكون الذي لا يتوب^٢

^١ لم أجده عند أحمد، وإنما رواه الطبراني في "الكبير"، (١٠٣٦٢)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه: "النظر سهم من سهام إبليس مسموم، من تركها مخافتى، أبدلته إيماناً يجد له حلاوته في قلبه". وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي، وهو ضعيف.

والذي في مسند أحمد، (٢٢٢٧٨)، عن أبي أمامة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة أول مرة، ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها" وسنده ضعيف جداً، راجع حاشية المسند، ط: دار الرسالة.

^٢ -قاله ابن رجب في "لطائف المعارف"، (ص ٣٩٩)



3- استغلال الوقت بالطاعات.

ومن أعظم نعم الله على العبد الصحة والفراغ؛ وأريد منك أيُّها الأخ الحبيب أن تستغل وقتك بطاعة الله في أيِّ مكانٍ كنت، وفي أيِّ وقت كان، فمثلاً عبادة الذكر من أعظم العبادات، وأسهلها على الإنسان، فلا يفتر لسانك عن الذكر، وأركانك عن الشكر، وقلبك عن ربك سبحانه وتعالى.

واعلم أن من علامات أهل الهمم الحرص على الوقت والعزيمة والجد في العلم والعمل، والحفاظ على الأوقات أنفس من الذهب والفضة؛ لأنَّ الذهب والفضة يذهب ويأتي، والوقت إنْ ذهب لن يأتي!!

قال الشافعي: **رضي الله عنه** "صحبْتُ الصوفية، فلم أستفد منهم سوى حرفين: أحدهما قولهم: الوقت سيف، فإنْ قطعته، وألاً قطعك. وذكر الكلمة الأخرى"^١

قلت صدق رحمه الله، فهذا الإمام ابن عقيل رحمه الله، يقول: "وما كان العشق إلا لأرعن بطال، وقلَّ أن يكون في مشغول ولو بصناعة أو تجارة، فكيف بعلوم شرعية أو حكمية"^٢

بل اعلم أنَّ الوقت من أعظم النعم، وأعلى الدرر التي وهبها الله لخلقه فهو عصب الحياة، وسبيل النجاة؛ واعلم إنَّك لن تنال منه ما تريد إلا إن

^١ -انظر: "الجواب الكافي"، لابن القيم (ص٣٥٨)، ط: عالم الفوائد. وانظر: قول الشافعي

في "مناقب الشافعي" للبيهقي، "(٢٠٨ / ٢)"

^٢ -انظر: "الآداب الشرعية" لابن مفلح، "(١٢٦/٣)"



جهدت وجاهدت، وصبرت وصابرت، نفسك في قضائه بحق كما يرضاه الله عنك.

وضياع الوقت من أعظم الحسرات، ومن أكثر الهموم والكربات التي يعيشها من فقد السعادة في هذه الحياة.

وعمرك الحقيقي هو العمر الإنتاجي الذي تفعل فيه الطاعات، وتعمل فيه لرضا رب الأرض والسماوات، وهناك فرق بين العمر الذي كتب لك، وبين العمر الذي تعمل فيه.

فالأول لجميع البشر. والثاني: لخير الخلق منهم وأفضلهم.

والمؤمن في هذه الحياة كالمسافر، لا يحط رحله إلا في الآخرة، ولهذا كان الزهد هو السفر من منازل الدنيا إلى مواطن الآخرة.

وفي الحديث: عن عبد الله بن بسر، قال: أتى النبي **صلى الله عليه وسلم** أعرابيان، فقال أحدهما: من خير الرجال يا محمد؟ قال النبي **صلى الله عليه وسلم**: "من طال عمره، وحسن عمله"، وقال الآخر: إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا، فباب نتمسك به جامع؟ قال: "لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله"^١

^١ - رواه أحمد في "مسنده"، بـرقم "(١٧٦٨٠)"، و"(١٧٦٩٨)"، و"(٢٠٤١٥)"، و"(٢٠٤٤٣)"، و"(٢٠٤٨٠)"، و"(٢٠٤٨١)"، و"(٢٠٤٩١)"، والطبراني في "الأوسط" (٢٢٨٩)، وفي "الدعاء" (١٨٥٥)



وقال ابن حبان رحمه الله ، في "صحيحه" ، " ذكر البيان بأن من طال عمره وحسن عمله قد يفوق الشهيد في سبيل الله تبارك وتعالى" ، وساق بسنده، عن طلحة بن عبيد الله قال: قدم على النبي **صلى الله عليه وسلم** رجلان من بلي فكان إسلامهما جميعا واحدا وكان أحدهما أشد اجتهادا من الآخر فغزا المجتهد فاستشهد وعاش الآخر سنة حتى صام رمضان ثم مات فرأى طلحة بن عبيد الله خارجا خرج من الجنة فأذن للذي توفي آخرهما ثم خرج فأذن للذي استشهد، ثم رجع إلى طلحة فقال: ارجع فإنه لم يأن لك فأصبح طلحة يحدث به الناس فبلغ ذلك النبي **صلى الله عليه وسلم** فحدثوه الحديث وعجبوا فيه قالوا: يا رسول الله كان أشد الرجلين اجتهادا واستشهد في سبيل الله ودخل هذا الجنة قبله فقال النبي **صلى الله عليه وسلم**: "أليس قد مكث هذا بعده بسنة" قالوا: نعم قال: "وأدرك رمضان فصامه وصلى كذا وكذا في المسجد في السنة؟" قالوا: بلى قال: "فلما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض"^١

١- رواه ابن حبان في "صحيحه"، (٢٩٨٢)، وأخرجه أحمد في "مسنده" (١٦٣/١)،

وابن ماجه، في "سننه"، (٣٩٢٥)، والبيهقي (٣٧٢-٣٧١/٣)

قال البوصيري في "مصباح الزجاجة" (٢١٨-٢١٩/٣)، هذا إسناد رجاله ثقات وهو منقطع، قال علي بن المديني وابن معين: أبو سلمة لم يسمع من طلحة بن عبيد الله شيئا. ورواه أحمد بن حنبل من حديث طلحة بن عبيد الله أيضا. ورواه مسدد في "مسنده" من طريق عبد الله بن شداد، عن طلحة، به. ورواه محمد بن يحيى بن أبي عمر في "مسنده" عن عبد العزيز بن محمد، عن ابن الهاد، عن محمد بن إبراهيم.



فيا أيُّها المسلم الصائم: هل فكرت ماذا ستقدم لحفرتك المظلمة وقبرك الضيق؟ وماذا ستترك من البصمات الصادقة الخالصة التي تنفع الأمة وتشهد لك عند الله في يوم القيامة؟ لا بأس من الترويح عن النفس بالمباح، ولكن حذاري أن يزين لك الشيطان! أو يلبس عليك إبليس فتفهم أن لك ساعة، وتجعل تلك الساعة في غير موطنها، فتعصي الله فيها، وتذهب إلى أماكن الحرام، وتخلو بالفحشاء والمنكر، فتكون كما قال تعالى، ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨]

وقد قيل: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ﴾ أي يستترون، كما قال تعالى: ﴿مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ﴾ أي مستتر. وقيل: يستحيون من الناس، وهذا لأن الاستحياء سبب الاستتار. ومعنى ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾، أي بالعلم والرؤية والسمع" ^١

قال الإمام ابن الجوزي، "من قال سبحان الله وبحمده غُرِسَتْ له نخلة في الجنة"، فانظر إلى مضيق الساعات كم يفوته من النخل!!!

وقد كان السلف يغتنمون اللحظات، فكان كَهَمَسُ بن الحسن التميمي؛ يختم القرءان في كل يومٍ وليلةٍ ثلاث مرات.

^١ -تفسير القرطبي، "(٣٧٩ / ٥)" دار الكتب المصرية



وكان أربعون رجلاً من السلف يصلون الفجر بوضوء العشاء.

وذكر الإمام ابن أبي الدنيا، عن عبد العزيز بن أبي راود قال: "دخلت على المغيرة بن حكيم في مرضه الذي مات فيه، فقلت: أوصني، فقال: اعمل لهذا المضجع"^١

ولله در القائل:

هني بقيتُ على الأيام والأبدِ ونلتُ ما رمْتُ من مالٍ ومن ولدٍ

من لي برؤية من قد كنت آلفُهُ وبالشباب الذي ولَّى فلم يعدِ

وعن وهب بن منبه قال: "في حكمة آل داود حق على العاقل ألا يغفل عن أربع ساعات ساعة يتخلى فيها لربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفضي فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه وساعة يخلي بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويحتمل فإن هذه الساعة عون له على هذه الساعات وإجمام^٢ للقلوب.

وحق على العاقل أن يعرف زمانه ويحفظ لسانه ويقبل على شأنه وحق على العاقل ألا يظعن في إحدى ثلاث زاد لمعاده ومرة لمعاشه ولذة في غير محرم.^٣

^١ -المختصرين، "(١٦٤)"، ط: دار ابن حزم.

^٢ -والإجمام الإراحة، يقال أجم نفسك يوماً أو يومين: أرحها. انظر لسان العرب (جسم)

^٣ انظر: العقل وفضله لابن أبي الدنيا، برقم "(٢٩)"، ورواه ابن المبارك في الزهد رقم، "(٣١٣)"



قال الحسن رحمه الله: "المؤمن قوام على نفسه، يحاسب نفسه لله، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة. إنَّ المؤمن يفاجئه الشيء ويعجبه، فيقول: والله إنِّي لأشتهيك. وإنَّك لمن حاجتي، ولكن والله ما من صلة إليك، هيهات هيهات، حيل بيني وبينك، ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه، فيقول: ما أردت إلى هذا؟ مالي ولهذا؟ والله لا أعود إلى هذا أبداً، إنَّ المؤمنين قوم أوقفهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم، إنَّ المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته، لا يأمن شيئاً حتى يلقي الله، يعلم أنَّه مأخوذ عليه في سمعه وفي بصره، وفي لسانه، وفي جوارحه، مأخوذ عليه في ذلك كله"

قال مالك بن دينار: "رحم الله عبداً قال لنفسه: ألسنت صاحبة كذا؟ ألسنت صاحبة كذا؟ ثمَّ زمها، ثمَّ خطمها، ثمَّ ألزمها كتاب الله عز وجل، فكان لها قائدا"¹

وروى ابن أبي الدنيا، قال: حدثني بعض، أهل العلم: "دعا قوم رجلاً إلى طعام، فقال: إنِّي صائم، فقالوا: أفطر اليوم وصم غداً، قال ومن لي بغد؟"²

¹ - إغاثة اللفهان، "(٥٧/١-٥٨)"، ط: التوفيقية.

² - انظر: "اقتضاء العلم العمل" للخطيب، رقم، "(١٨٧)"، ط: المكتب الإسلامي.



فتأمل رحماني الله وإياك حالهم وحالنا، وقل بلسان الحال والمقال، بحال الخاشع المتضرع، "اللهم إنا نعوذ بك من الخذلان والحرمان"، اللهم "استعملني ولا تستبدلني"^١

وعن يزيد بن نعمة قال هلكت جارية في الطاعون فلقيها أبوها بعد موتها في المنام فقال لها يا بنية أخبريني عن الآخرة فقالت يا أبت قدما على أمر عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون والله لتسيحة أو تسيحتان أو ركعة في عملي أحب إلي من الدنيا وما فيها"^٢

^١- روى أحمد، "(١٢٠٣٦)"، والترمذي، "(٢١٤٢)"، عن أنس قال: قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: إذا أراد الله بعبد خيرا استعمله فقل: كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: يوفقه لعمل صالح قبل الموت" ورواه ابن أبي عاصم في "السنة"، "(٣٩٧)"، والحاكم في "المستدرک"، "(١٢٥٧)"، والطبراني في "الكبير"، "(١٩٦٢)"

وروى أحمد، "(١٧٧٨٤)"، بإسناده عن محمد بن زياد الألهاني، قال: حدثني أبو عنبه - قال سريج وله صحبة، قال: قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: "إذا أراد الله بعبد خيرا، غسله"، قيل: وما غسله؟ قال: "يفتح الله له عملا صالحا قبل موته، ثم يقبضه عليه" وهو في "مسند البزار"، "(٢٣٠٩)"، ورواه ابن شعبة في "مسنده"، "(٨٦٢)"، وابن حبان في "صحيحه"، "(٣٤٢)"، والحاكم في "المستدرک"، "(١٢٥٨)" قال الهيثمي، "(١١٩٣١)"، "رواه أحمد والطبراني وفيه بقية وقد صرح بالسماع في المسند، وبقية رجاله ثقات"

^٢ - رواه ابن رجب "أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور" وقال: "وروى ابن أبي الدنيا...."



واحذر أن تكون من هؤلاء: الذين يضيعون أوقاتهم، بالخروج إلى المنتزهات، ومَن يجلسون إلى على الطرقات، ويتدافعون الأوقات الصالحة بالقيـل والقال، ومَن يسمرون لغير حاجة، وفي غير فائدة، وينامون عن الطاعات، فإنَّ هذا من أعظم الشقاء، ومن علامات الحرمان والإفلاس.

قال ابن الجوزي، "قد رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعاً عجيباً، إن طال الليل فبحديث لا ينفع أو بقراءة كتاب فيه غزل وسمـر وإن طال النهار فبالنوم وهم في أطراف النهار على دجلة أو في الأسواق، فشبهتهم بالمتحدثين في سفينة وهي تجري وما عندهم خبر، ورأيت النادرين قد فهموا معنى الزمان وتهيأوا للرحيل، فالله الله في مواسم العمر، والبدارَ البدارَ قبل الفوات، ونافسوا الزمان

4-الاستمرار بالعبادة ولو بالقليل.

فإذا كنَّا قد تكلمنا في الثَّباتِ بعد رمضان، فلا بدَّ من فعل شيءٍ من الطاعات والاستمرار عيـلها، وذلك من دلائل الثبات بعدها، وهذا علامة الربانية التي ينبغي لكل مسلم أن يتسم بها، ولذلك قيل كن ربانياً ولا تكن رمضانياً، وذلك لأنَّ بعض الناس لا يسابق في العبادات، ولا يتذكر الطاعات إلا في شهر رمضان، فالربانيَّة أن تعبد الله في جميع الشهور، والرمضانية هو العبادة في شهر رمضان، وليت الذين تعبدوا الله في رمضان بقي أثر ذلك في نفوسهم ولو شهور قليلة، فإنَّ من أعظم ما يحزن القلب، ويسكب الدمع، أنَّه إذا ما غادرت تلك النفحات الربانية الرمضانية، عاد



بعضهم إلى شهوته الحيوانية، وسلك الطرق الشيطانية، بعد أن هداه الله تعالى، وأذاقاه تلك الحلاوة الإيمانية، واستشعر فوائدها على نفسه وروحه.

والمؤمن الحريص على سلامة قلبه، ومرضاة ربه هو الذي يبقى على ما كان عليه قبل رمضان ولو بالقليل.

وهذا على العموم مستحب فأن المؤمن إذا انتهى من طاعة استحب له في الشرع أن يشتغل بطاعة غيرها وهكذا، فعن ابن عباس قال: سأل رجل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «أيُّ الأعمال أحب إلى الله؟ فقال: "الحالُ المُرْتَجِلُ"، قال: يا رسول الله، ما الحالُ المُرْتَجِلُ؟ قال: "صاحب القرآن يضرب في أوله حتى يبلغ آخره، وفي آخره حتى يبلغ أوله"»^١

١- رواه الترمذي في "سننه"، (٢٩٤٨)، وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه وإسناده ليس بالقوي» ورواه ابن المبارك في "الزهد" عن رجل مبهم برقم (٧٤٩)، ط: دار المعراج.

ورواه الدارمي في: "سننه"، "باب في ختم القرآن"، (٣٥١٩) وهو ضعيف لضعف صالح المري، وإرسال زرارة.

وقال البزار في مسنده، (٥٣٠٦) "وهذا الحديث لا نعلم أحداً حدث به عن قتادة إلا صالح المري"

ورواه البيهقي، في: "الشعب"، (١٨٤٦)، والحاكم في المستدرک مكرراً، (٢٠٨٩)، وقال فيه، "تفرد به صالح المري وهو من زهاد أهل البصرة إلا أن الشيخين، لم يخرجاه». وله شاهد من حديث أبي هريرة



قال السيوطي "قال في التَّهْيَاة: «هو الذي يختم القرآن بتلاوته، ثم يفتح التَّلاوة من أوَّله، شبه بالمسافر يبلغ المنزل فيحلَّ فيه، ثم يفتح سيره، أي يتدبَّره، وقيل: أراد بالحال المرتحل الغازي الذي لا يقف عن غزوٍ إلاَّ عقبه بآخر»^١

قلت: وعلى هذا رأى أهل العلم أنَّه من السنة إذا فرغ القارئ من الختمة، أن يشرع بأخرى، عقب الختم.
وعن مورو العجلي قال : «المتمسك بطاعة الله إذا جنب الناس عنها كالكار بعد الفار»^٢

فإذا كان يقرأ الأجزاء الكثيرة قبل رمضان فعليه ولو بجزء أو جزئين، حتى لا يدخل في زمرة الهاجرين للقرآن الكريم، قال تعالى ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]

قال الإمام ابن القيم، " هجر القرآن أنواع: أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه

قال السيوطي في "قوت المغتذي"، "(٧٤٦/٢)"، "قال في التَّهْيَاة: "هو الذي يختم القرآن بتلاوته، ثم يفتح التَّلاوة من أوَّله، شبه بالمسافر يبلغ المنزل فيحلَّ فيه، ثم يفتح سيره، أي يتدبَّره، وقيل: أراد بالحال المرتحل الغازي الذي لا يقف عن غزوٍ إلاَّ عقبه بآخر"
قلت: وعلى هذا رأى أهل العلم أنَّه من السنة إذا فرغ القارئ من الختمة، أن يشرع بأخرى، عقب الختم.

^١ -قوت المغتذي"، "(٧٤٦/٢)"

^٢ -رواه أحمد في "الزهد"، "(٣٣٤/٤)"، وابن شيبه في "مصنفه"، "(٣٥١٤٨)"، وأبو نعيم في "الحلية"، "(٢٣٥/٢)"



والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به
والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه
لا يفيد اليقين وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم.

والرابع: هجر تدبره وتفهمه، ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلب وأدوائها
فيطلب شفاء دائه من غيره، ويهجر التداوي به وكل هذا داخل في قوله
﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ وإن كان
بعض المهجر أهون من بعض^١

ومن كان يفعل الخير فعليه بفعله ولو القليل منه، فمن كان يطيل القيام،
فعليه بما يكفيه أن يكون بعيداً عن زمرة الغافلين، ففي صحيح ابن حبان،
عن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من
قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين،
ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين»^٢

^١ - انظر: الفوائد، " (ص ٨١) "

^٢ - رواه ابن حبان في " صحيحه "، " (٢٥٣٧) "، وابن خزيمة، في " صحيحه "، " (١١٤٤) "،
وأبو داود في " سننه "، " (١٣٩٨) " وابن السني، في " عمل اليوم والليلة "، " (٧٠١) "



عن أبي هريرة، أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قال: «القنطار اثنا عشر ألف أوقية، كل أوقية خير مما بين السماء والأرض»^١

والذي كان كثير الذكر، فعليه بالمأثور والمحافظة على أذكار الصباح والمساء، فيا لها من بشرى عظيمة اعلمها جيداً وعلمها لمن حولك ولأهل بيتك وأصحابك، أنك إن حافظت على الأذكار الشرعية في الصباح والمساء كنت من الذاكرين لله كثيراً والذاكرات.

وقد سئل الشيخ الإمام أبو عمر بن الصلاح رحمه الله عن القدر الذي يصير به من الذاكرين لله كثيراً والذاكرات.

فقال: «إذا وازب على الأذكار المأثورة المثبتة صباحاً ومساءً في الأوقات والأحوال المختلفة ليلاً ونهاراً - وهي مبيّنة في كتاب عمل اليوم والليلة - كان من الذاكرين لله كثيراً والذاكرات، والله أعلم»^٢

وعن عبد الله بن مسعود **رضي الله عنه** قال: «إنَّ الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإنَّ الله تعالى يعطي المال من أحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب، فمن ضن بالمال أن ينفقه، وخاف العدو أن يجاهده، وهاب الليل أن يكابده، فليكثر من قول: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر»^٣

^١ - رواه ابن حبان في "صحيحه"، (٢٥٧٣) وابن ماجه، في "سننه"، (٣٦٦٠)

^٢ - انظر: كتاب الأذكار للنووي، (ص ١٠-١١)، ط: دار الفكر.

^٣ - رواه البخاري في "الأدب المفرد"، (٢٧٥) وابن شعبة في "مصنفه"، (٣٩١/١٠)



قال عبيد بن عمير: «تسيحة بحمد الله في صحيفة مؤمن خير له من جبال الدنيا تجري معه ذهباً»^١

فيا أيُّها المسلم: أيّا كنت في العمل، أم في السيارة، أم في البيت، عليك بعبادة الذّكر لله تعالى، شغل قلبك وقلبك في ذكر الله، فإن المحروم من حرم الذكر، والميت من مات قلبه عن ذكر الله، قال عبد الله بن أبي الهذيل: "إنّ الله تعالى يحب أن يذكر في السوق، ويجب أن يذكر على كلّ حال إلا على الخلاء"^٢

وأيتها المسلمة: تكلم يحيى بن معاذ الرازي يوماً في الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقالت [له] امرأة: هذا واجب قد وُضع عنا، فقال:

-ورواه عبد بن حميد في "المنتخب"، "(٦٤١)"، والبزار في "مسنده"، مرفوعاً من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، "(٤٩٠٤)"، وقال: "وهذا الحديث لا نعلمه يروى إلا عن ابن عباس، عن النبي **صلى الله عليه وسلم**، ولا نعلم له طريقاً عن ابن عباس إلا هذا الطريق، وأبو يحيى فلا نعلم به بأساً قد روى عنه جماعة من أهل العلم، وهو كوفي معروف"، ورواه البيهقي في "الشعب"، "(٥٠٥)"

-ورواه الطبراني في "الشاميين" (١٧٤)، وابن شاهين في "الترغيب والترهيب"، "(١٠٧)"، من حديث أبي أمامة **رضي الله عنه** مرفوعاً، وسنده ضعيف جداً، فيه سليمان بن أحمد الواسطي، وهو متهم بالكذب

-ورواه تمام الرازي في "فوائده"، "(١٥٦٦)" من حديث أنس **رضي الله عنه** مرفوعاً، وهو ضعيف.

^١ -رواه ابن المبارك في "الزهد"، "(٩٣١)"، والبيهقي في "الشعب" (٦٩٢)

^٢ -الوابل الصيب، "(ص ٩٥)"، وانظر: حلية الأولياء، "(٣٥٩/٤)"



هِيَ أَنَّهُ قَدْ وَضَعَ عَنْكَ سِلَاحَ الْيَدِ وَاللِّسَانِ، فَلَمْ يَوْضِعْ عَنْكَ سِلَاحَ الْقَلْبِ، فَقَالَتْ: صَدَقْتَ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا^١

واعلم يَاَ اللَّهِ خَلَقَ الْخَلْقَ، وَأَرْسَلَ الرِّسْلَ، وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكُتُبَ، لِيَدْعُوا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ وَتَوْحِيدِهِ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ الْعَبْدَ مُطَالِبٌ بِالْعِبَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَى حَتَّى الْمَمَاتِ، وَعَلَى الدَّوَامِ، وَلَيْسَ لِلْمُؤْمِنِ رَاحَةٌ إِلَّا فِي أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ.

قَالَ تَعَالَى ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ قَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ سَالِمُ الْمَوْتِ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ:

﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَيُّ: إِلَّا لِيَقْرُوا بِعِبَادَتِي طَوْعًا أَوْ كَرْهًا^٢

وَقَالَ تَعَالَى ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾

وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يَشْعُرُ الْمُؤْمِنُ بِأَنَّهُ مُخَاطَبٌ بِالْإِمْتِثَالِ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَالتَّعَبُّدِ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

^١ - ذكره ابن القيم في "إعلام الموقعين"، "(٤٢٨/٣)"

^٢ - تفسير ابن كثير، "(٤٢٥/٧)"



وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَقَصَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَخَذُونَ آيْمَانَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل: ٩٢]

قال مجاهد: هذا فعل نساء أهل نجد، تنقض إحداهن حبلها، ثم تنفضه، ثم تخلطه بالصوف فتغزله. وقال مقاتل: هي امرأة من قريش تسمى «رَيْطَةُ» بنت عمرو بن كعب، كانت إذا غزلت، نقضته. وقال ابن السائب: اسمها «رَائِطَةُ»

قال ابن الأنباري: اسمها «رَيْطَةُ» بنت عمرو المريّة، ولقبها الجعراء، وهي من أهل مكة، وكانت معروفة عند المخاطبين، فعرفوها بوصفها، ولم يكن لها نظير في فعلها ذلك، كانت متناهية الحمق، تغزل الغزل من القطن أو الصوف فتحكّمه، ثم تأمر جاريتها بتقطيعه. وقال بعضهم: كانت تغزل هي وجواربها، ثم تأمرهن أن ينقضن ما غزلن، فضربها الله مثلاً لناقضي العهد^١

وقال سبحانه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]

^١ - انظر: زاد المسير، " (٥٨٠/٢) "



روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنَّ أبو بكر رضي الله عنه، قال: "أمَّا بعد: فمن كان منكم يعبد محمداً صلى الله عليه وسلم فإنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت..."^١

وأنا أقول: من كان يعبد الله تعالى في رمضان، فإن رمضان قد ذهب وهو على عودةٍ إن شاء الله، ومن كان يعبد الله لأنه ربُّ مستحق للعبادة، فرب رمضان، هو رب شوال وذو القعدة، ورب جميع الشهور. واعلم أنَّ كثرة العبادة لله تعالى في رمضان لمن كان فاتراً قبله، ظاهرة منتشرة بين المسلمين، وهي تبعث الأمل الذي يعقبه الحزن بعد الفرح.

فإنَّ من الأمل الذي يزرع في نفس المسلم الحريص أن يرى مجتمعاً مسلماً حقق العبودية لله كما ينبغي: فالناس يتوافدون إلى بيوت الله، ويسافر بعضهم في أداء العمرة لله. وتراهم يلهثون بذكر الله، وقراءة القرآن، وكثرة التضرع والدعاء؛ ولكن فجأة يبدأ عداد الإيمان بالنقص التدريجي بعد الزيادة التدريجية؛ وهذه الظاهرة المحزنة التي ترى في المجتمعات اليوم، لم تكن من هدي النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أصحابه الكرام، ولا الصالحين في هذه الأمة؟

^١ - رواه البخاري في "صحيحه"، (١١٨٥)



-وذلك لأنّ النبي **صلى الله عليه وسلم** كان في شعبان ورجب في حال تأهب واستعداد كما رواه جمع من الصحابة عنه، وصدق أبو بكر البلخي إذ قال: "رجب شهر الزرع، وشعبان شهر السقي، ورمضان شهر الحصاد" وبعض الناس يريد كلّ هذا في وقتٍ واحدٍ وقليل من يوفق له.

-والثاني: أنّ النبي **صلى الله عليه وسلم** كان في العشر الأواخر من رمضان أكثر تعبدًا لله وهذا دليل التدرج المطلوب، فكان **صلى الله عليه وسلم** يعتكف ويقوم الليل ويشدّ المأزر ويوقظ أهله. وقد روي عنه، (إنّ المنيب لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى)^١ كناية عن تشدّده.

١- رواه: أبو الشيخ الأصفهاني، في "أمثال الحديث"، رقم (٢٢٩)، والبيهقي في "الكبرى"، (٤٧٤٣)، وقال: "هكذا رواه أبو عقيل، وقد قيل عن محمد بن سودة عن محمد بن المنكدر، عن عائشة، وقيل عنه، عن محمد بن المنكدر، عن النبي **صلى الله عليه وسلم** مرسلًا، وقيل عنه غير ذلك، وروي عن عبد الله بن عمرو، عن النبي **صلى الله عليه وسلم**"
والبغوي في شرح السنة، (٥١/٤)، وقال: ويروى هذا عن عبد الله بن عمرو بن العاص، موقوفًا عليه، وزاد «واعمل عمل امرئ يظنّ أنّ لا يموت إلا هرماً، واحذر حذر امرئ يخشى أن يموت غدًا»
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، (٢١٧)، "رواه البزار، وفيه يحيى بن المتوكل أبو عقيل، وهو كذاب"



والثالث: أنّ أحبّ الأعمال أدومها وإن قلّ؛ وهذه قاعدة جامعة في العبادات.

وكان عمل النبي **صلى الله عليه وسلم**، (ديمة) كناية عن متابعة العبادة والدوام عليها، وعدم الانقطاع عنها إلا من عذر.

فالعبادة الموفقة بإذن الله هي:

١- التي يداوم عليها صاحبها.

٢- التي لا يتخللها انقطاع إلا لعذر.

٣- التي يقيدها صاحبها بالإخلاص لله تعالى، والمتابعة للسنة النبوية.

فهذا رأس مال العبادة الناجحة، وما بقي من كثرة الطاعات والأذكار فهذا ربح على رأس المال، وإن استثمر بشكّل جيد، حصل به خير عظيم.

اعلم أيّها الصائم: إنّ التهاون في متابعة الطاعة، يولد في النفس الفتور، وإذا لم يستدرك ذلك صار عجزاً، وكسلاً وهذا من أخسّ علامات المنافقين وأبغضها.

ولذلك فالأزم غرس سلفك، تنجو وتسلم، وعليك بالعبادة الدائمة ولو بالقليل، سواء كانت تلك العبادات من الفرائض أو السنن.

والمؤمن الكيس العاقل، هو الذي لا ينشغل عن عبادة دون الأخرى، فلا ينشغل بالمفضول عن الفاضل، ولا بالمسنون عن الواجب، بل يعطي كلا



حقه ومستحقه بما يوافق الشرع، وهذا يحتاج لفقه بمعرفة الأيام والشهور، وما يتعلق بها من فضائل وأحكام، وقد كتب السلف في ذلك مؤلفات عديدة والله الحمد والمنّة.

واعلم أنّ العبودية لله تعالى تكون في جميع أيام السنّة، والعبادة في رمضان محطة إيمانية، ومركز انطلاق وعبور لجميع شهور السنة وأيامها، فعليك بفعل ما تستطيع من العبادات بعد رمضان، ولو بالقليل شرط ألا تنقطع عن ذلك.

فإن التخلي عن ترك بعضها، يجر على الباقي منها نفس النتيجة، ويا لها من نتيجة محزنة.

قال الإمام المحدث المسند، المجاهد العابد الزاهد عبدالله بن المبارك رحمه الله:

"من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن.

ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض.

ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة."^١

وقيل: الأدب في العمل علامة قبول العمل"^٢

وقال: الإمام أحمد رضي الله عنه وقد سئل؟ عن رجل استمر على ترك الوتر: هذا رجل سوء!"^١

^١ - رواه البيهقي في شعب الإيمان، (٣٠١٧)، " (٥٥٩/٤) "

^٢ - مدارج السالكين، " (٤٠٢/٢) "



وكان بعضهم يكثر تلاوة القرآن، ثم اشتغل عنه بغيره، فرأى في المنام قائلاً يقول له:

إن كنت تزعم حي ... فلم جفوت كتابي

أما تأملت ما فيه ... ه من لطيف عتابي"^٢

قال الإمام النووي رحمه الله، "وروى ابن أبي الدنيا عن بعض حفاظ القرآن أنه نام ليلة عن حزبه فأري في منامه كأن قائلاً يقول له:

عجبت من جسم ومن صحة لو ومن فتى نام إلى الفجر

والموت لا يؤمن خطفاته يكون في ظلم الليل إذا يسري"^٣

وعن سليمان بن يسار؛ قال: أصبح أبو أسيد وهو يسترجع، ف قيل له: ما لك؟ فقال: نمت عن جزئي الليلة، وكان وردي البقرة؛ فرأيت بقرة تنطحني"^٤

يا رجال الليل جدوا ... رب داع لا يرد

ما يقوم الليل إلا ... من له عزم وجد

^١ انظر: در تعارض العقل والنقل؛ "(٦٧، ٦٦/٨)"، "في ذكر كلام ابن عقيل في ذم الكلام"، وذكره ابن قيم في الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية المعطلة، "(٤/١٣٤٨)"

^٢ - انظر: جامع العلوم والحكم، "(ص ٦١١)"

^٣ - انظر: التبيان في آداب حملة القرآن، "(ص ٧٠)"

^٤ رواه الدينوري في "المجالسة وجواهر العلم"، "(٢٩٦٠)"



وأكثر رحمي الله وإيّاك من الدعاء لله تعالى في الاستعاذة من النكوص والرجوع إلى بعد التقدم والسير، ومن ذلة المعصية بعد عزة الطاعة، ومن فقر الطمع، بعد غنى الطاعة.

فعن عبد الله بن سرجس، أنه كان رأى النبي صلى الله عليه وسلم، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر قال: " اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم اصحبنا في سفرنا، واخلفنا في أهلنا، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، ومن الحور بعد الكور، ودعوة المظلوم، وسوء المنظر في الأهل والمال " ^١

وعند ابن خزيمة: زاداً قيل لعاصم: ما الحور؟ قال: أما سمعته يقول: حار بعدما كان.

وعند معمر بن راشد بزيادة فيه، قلنا لعبد الرزاق ^٢: ما الحور بعد الكور؟ قال: سمعت معمرًا يقول: «هو الكساء»، قلنا: وما الكساء؟ قال: «هو الرجل يكون صالحاً، ثم يتحول فيكون امرأ سوء» ^٣

^١ -رواه أحمد في "مسنده"، "(٢٠٧٨١)"

^٢ -مصنف عبد الرزاق، "(٢٠٩٢٧)"

^٣ -رواه النسائي، "(٥٤٩٧)"، والترمذي، "(٣٤٣٩)"، وأحمد، "(٢٠٧٨١)"، ومعمر بن

راشد، في "جامعه"، "(٢٠٩٢٧)"، وابن خزيمة، "(٢٥٣٣)"



أيها الصائم: لا تزك نفسك على الله، ولا تغتر بكثرة العبادات والقربات التي فعلتها لله في شهر رمضان، فإنَّ سؤالك الله القبول، والاشتغال بالعبادات بعد رمضان من أكثر ما ينبغي لك أن تشتغل به وتدعوا الله به، بل عليك أن تتهم نفسك على الدوام.

فعن أبي بكرة **رضي الله عنه**، قال: قال رسول الله -**صلى الله عليه وسلم**-: «لا يقولن أحدكم: إني صمت رمضان كله وقمته كله» فلا أدري أكره التزكية، أو قال: لا بدَّ من نومة أو رقدة»^١

فإذا كان حنظلة والصَّحابة الكرام قد اتهموا أنفسهم وهم يسمعون كلام الصادق، ويجلسون معه، ويتعبدون الله سبحانه وتعالى ورسوله -**صلى الله عليه وسلم**- حيَّ بين ظهورهم؛ فإنَّه لجدير بك أن تتهم نفسك ولا تزكيها على الله، وعش كما عاش السلف رضوان الله عليهم بين الخوف والرجاء، فبه النجاة، وإيَّاك والاعتزاز، فكم من عمل قد رد إما لحديث نفس، أو حب مكانة، أو شهوة نفس، أو حرص لغير الله، وغير ذلك من الأمراض الخفية، ولكن رحمة الله أوسع وأشمل.

وقد كان السلف لهم حظوة في باب الخوف والرجاء، ذكر ابن المبارك قال أخبر سفيان: أنَّ ابن عباس -**رضي الله عنهم**- قال: «إذا رأيتم بالرجل الموت فبشروه ليلقي ربه وهو حسن الظنَّ به، وإذا كان حياً فخوفوه» وقال الفضيل: «الخوف أفضله من الرجاء. ما كان العبد صحيحاً فإذا نزل به الموت، فالرجاء أفضل من الخوف»^١

^١ - رواه أبو داود في "سننه"، (٢٤١٥)، "باب من يقول: صمت رمضان كله"، والنسائي في "الكبرى"، (٢٤٣٠)، وأحمد في "مسنده"، (٢٠٤٠٦)، وابن حبان في "صحيحه"، (٣٤٣٩)



ومن أمثلة السلف في الخوف من سوء الحال والمنقلب، وعدم الاغترار
بالحال والعمل، مع علو مكانتهم، ورفع مقامهم.

فكان الصديق **رضي الله عنه** يقول: «وددت أني شعرة في جنب عبدٍ
مؤمن»

وعن قتادة قال بلغني: "أن أبا بكرٍ -**رضي الله عنه**- قال: «وددت أني
خضرة تأكلني الدَّواب»^٢

وهذا ابن عباس **رضي الله عنه** يقول لأبي حفص عمر **رضي الله عنها**:
«مَصَّرَ الله بك الأمصار، وفتح الله بك الفتوح، وفعل وفَعَلَ، فقال:
«وددت أني أنجو لا أجر ولا وزر»^٣

وهذا عثمان ذو النورين **رضي الله عنه**، يقول: «لو أنني بين الجنة والنَّار لا
أدري إلى أيتهما يُؤمر بي؛ لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلى أيتهما
أصير»^٤

وفي "صحيح مسلم" من حديث أبي عثمان النهدي عن حنظلة قال: كنا
عند رسول الله **صلى الله عليه وسلم** فوعظنا فذكر النَّار، قال ثمَّ جئت إلى
البيت فضاحكت الصبيان ولاعبت المرأة قال فخرجت فلقيت أبا بكر
فذكرت ذلك له فقال وأنا قد فعلت مثل ما تذكر فلقينا رسول الله **صلى**

^١ -انظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة"، للإمام القرطبي " (ص ١٧٥-١٧٦)، ط: مكتبة دار المنهاج.

^٢ -ذكرها أحمد في "الزهد"، "(١٣/٢)"، و"(١٧/٢)"

^٣ -رواه أحمد في "الزهد"، "(٣٤/٢)"، وأبو نعيم في "الحلية"، "(٥٢/١)"

^٤ -رواه أحمد في "الزهد"، "(٤٢/٢)"، وأبو نعيم في "الحلية"، "(٦٠/١)"



الله عليه وسلم، فقلت يا رسول الله نافق حنظلة! فقال مه؟ فحدثته بالحديث.

فقال أبو بكر: وأنا قد فعلت مثل ما فعل، فقال: يا حنظلة ساعة وساعة، ولو كانت ما تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم في الطرق»

وعند "الترمذي" عن عثمان النهدي، عن حنظلة الأسيدي، - وكان من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم - أنه مر بأبي بكر وهو يبكي، فقال: ما لك يا حنظلة؟ قال: نافق حنظلة يا أبا بكر، نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة كأنا رأي عين، فإذا رجعنا عافسنا الأزواج والضيعة ونسينا كثيراً، قال: فوالله إنا لكذلك، انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلقنا، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما لك يا حنظلة؟»

قال: نافق حنظلة يا رسول الله، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنا رأي عين، فإذا رجعنا عافسنا الأزواج والضيعة ونسينا كثيراً.

قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو تدومون على الحال التي تقومون بها من عندي لصافحتكم الملائكة في مجالسكم، وفي طرقكم، وعلى فرشكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة». هذا حديث حسن غريب^١

^١ - رواه مسلم في "صحيحه"، (٢٧٥٠)، والترمذي في "سننه"، (٢٥١٤)، والبيهقي في "الشعب"، (١٠٥٩)



قال النَّووي، قوله: «عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات» هو بالفاء والسين المهملة، قال الهروي وغيره معناه: حاولنا ذلك ومارسناه واشتغلنا به أي عالجنا معاشنا وحظوظنا، والضيعات: جمع ضيعة بالضاد المعجمة وهي معاش الرجل من مال أو حرفة أو صناعة، وروى الخطابي هذا الحرف عانسنا بالنون قال: ومعناه لاعبنا، ورواه بن قتيبة بالشين المعجمة، قال ومعناه عانقنا، والأول هو المعروف وهو أعم.

«نافق حنظلة» معناه أنه خاف أنه منافق حيث كان يحصل له الخوف في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ويظهر عليه ذلك مع المراقبة والفكر والإقبال على الآخرة فإذا خرج اشتغل بالزوجة والأولاد ومعاش الدنيا، وأصل النفاق إظهار ما يكتُم خلافه من الشر فخاف أن يكون ذلك نفاقاً فأعلمهم النبي صلى الله عليه وسلم أنه ليس بنفاق وأنهم لا يكلفون الدوام على ذلك ساعة وساعة أي ساعة كذا وساعة كذا.

قوله: «فقلت يا رسول الله نافق حنظلة فقال مه» قال القاضي: معناه الاستفهام، أي ما تقول والهاء هنا هي هاء السكت. قال: ويحتمل أنها للكف والزجر والتعظيم لذلك^١

قلت: وهذا حال من يعبد الله فترة من الزمن ثم يترك العبادة، أو يبدل الطاعة بالمعصية، وهذا من الشقاء، والحرمان، فإن العمل إذا قبل من صاحبه أتبعه بعمل آخر، فدليل قبول الطاعة التوفيق لطاعة بعدها، وإلا فالحرمان وعدم القبول لمن يفتر عن العبادة.

^١ - شرح النَّووي على صحيح مسلم، "(٧٦/٩)"، ط: دار الحديث.



وقد قيل لبشر: إِنَّ قوماً يتعبدون ويجهدون في رمضان، فقال: بئس القوم لا يعرفون الله حقاً إلا في شهر رمضان إِنَّ الصالح الذي يتعبد ويجهد السنة كلها.

وسئل الشبلي: أَيُّما أفضل رجب أم شعبان؟ فقال: كن ربانياً، ولا تكن شعبانياً^١

وذكر الذهبي في "سير أعلام النبلاء" أَنَّهُ قيل للأحنف بن قيس رضي الله عنه: إِنَّك كبير والصوم يضعفك قال: إني أعده لسفرٍ طويل^٢

تأمل الأحنف أَنَّ سلعة الله غالية، أَنَّ سلعة الله الجنة، لا ينالها البطال، إِنَّمَا هي من نصيب الأبطال!

فجَدَّ الأحنف، فله درّه كم الأمة بحاجةٍ لقدواتٍ مثله.

قَالَ إبراهيم بن أدهم رحمه الله: دخلنا على عابدٍ مريض، وهو ينظر إلى رجله ويكي، فقلنا: ما لك تبكي؟ فقال: ما اغبرّت في سبيل الله تعالى.

وبكى آخر فقيل له: ما يبكيك؟ قَالَ: على يومٍ مضى ما صمته، وعلى ليلة ذهبَت ما قمتها^٢

١ - "(٩١/٤)"

٢ - انظر: فتة الكبد، "(ص ٣٨-٣٩)"



وقد اشترى جماعة من السلف أنفسهم من الله - عز وجل - بأموالهم، فمنهم من تصدق بماله كحبيب أبي محمد، ومنهم من تصدق بوزنه فضة ثلاث مرات أو أربعاً، كخالد الطحان

ومنهم من كان يجتهد في الأعمال الصالحة ويقول: إنما أنا أسير أسعى فيفكك رقبتى، منهم عمرو بن عتبة، وكان بعضهم يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسيحة بقدر ديتة، كأنه قد قتل نفسه، فهو يفتكها بديتها.

قال الحسن: المؤمن في الدنيا كالأسير، يسعى في فكك رقبتة، لا يأمن شيئاً حتى يلقي الله - عز وجل - . وقال: ابن آدم، إنك تغدو أو تروح في طلب الأرباح، فليكن همك نفسك، فإنك لن تربح مثلها أبداً.

قال أبو بكر بن عياش: قال لي رجل مرة وأنا شاب: خلص رقبتك ما استطعت في الدنيا من رق الآخرة، فإن أسير الآخرة غير مفكوك أبداً، قال: فوالله ما نسيته بعد.^١

^١ -انظر في جامع العلوم والحكم، "(ص ٣٩٦-٣٩٧)"، ط: العالمية.



يقول كاتبها غفر الله له: هذه قواعد كتبتها، وإني أرجو الله أن تكون خير معين على التذكير بالثبات على رمضان. والله أسأل أن يتقبلها، وأن يجعلها خالصاً لوجهه، وأن يكتب الأجر والمثوبة، لكل من طالع فيها، أو استفاد منها، أو دلَّ عليها، وأن يثبتنا ويتقبل منا ويحسن ختامنا إنَّه جوادٌ برحيم.

يقول راجي رحمة عفو ربه محمود بن أحمد الزويد.
كتبتها: في ٨ شوال/ من عام ١٤٣٩ هجري، وأتممت عليها بعض الفوائد في ٦ من شوال/ عام ١٤٤٠ هجري، والحمد لله رب العالمين.



الفهرس

٣.....	[المقدمة]
٤.....	[طلب القبول والإلحاح على الله بذلك]
١٢.....	[الثبات على الطاعات والحذر من الرجوع إلى المعاصي]
٢٦.....	[استغلال الوقت بالطاعات]
٣٤.....	[الاستمرار بالعبادة ولو بالقليل]
٥٤.....	[مفكرة الفوائد]
٥٦.....	[الفهرس]

